الادوار الجديدة لحلف الناتو بعد انتهاء الحرب الباردة

المدرس المساعد
طالب حسين حافظ[*]

المقدمة:

الاحلاف هي وسيلة لتحقيق التعادل في نظام توازن القوى، أو هي وسيلة في التعادل بين القوى المتجابهة. ويرى البعض ان الاحلاف وسيلة جوهرية في وضع النظام الدولي في حالة الاستقرار او اللاستقرار.

تتداخل العوامل التي تقود الدول الى عقد الاحلاف فيما بينها، فهناك اولاً، اعتبارات نظام توازن القوى، حيث ان التنافس أو الصراع هو الظاهرة الغالبة على السياسة الدولية، فهو السبب الرئيس وراء عقد الاحلاف. وتأتي اعتبارات الانتماء في الدرجة الثانية إذ تلعب العوامل الايديولوجية دوراً بارزاً في هذا المجال، وهناك ثالثاً العوامل الداخلية حيث تسعى بعض الحكومات للتحالف من أجل الحصول على التأييد الخارجي ضماناً لاستمرار وجودها .

ضمن هذه العوامل ومع مطلع الحرب الباردة ، تأسس حلف شمال الاطلسي (الناتو) North Atlantic Treaty Organization (NATO) إذ ضم الحلف في تأسيسه عام ١٩٤٩ اثنتي عشرة دولة على جانبي الاطلسي . وطيلة حقبة الحرب الباردة، كان حلف الناتو أداة الغرب الدفاعية الاولى ، ونهض بثقله الاستراتيجي الضارب بعبء دفاعي هائل، واذا كانت امكانيات الحلف لم تختبر عملياً في أية مواجهة نووية مع حلف وارشو خصمه الرئيس والعنيد، فانه لا خلاف ان مافي حوزته من قدرات نووية بوسائل نقلها ونظم توجيهها ، تكفي لابادة العالم ابادة شاملة ونهائية.

بعد انتهاء الحرب الباردة وزوال حلف وارشو، تصاعدت التكهنات بانتهاء دور حلف الناتو كونه من مخلفات تلك الحرب، الا ان واقع وافرازات النظام الدولي (الجديد) وتفرد الولايات المتحدة الامريكية بدور القطب الاعظم، اعطت لحلف الناتو دوراً جديداً من حيث المهام والحجم .

تنطلق أهمية هذا البحث في دراسة الادوار الجديدة لحلف الناتو من خلال فرضية " ان المبدأ الذي يستند اليه تحول الناتو الجديد هو الطموح الى العمل على مستوى عالمي في مهمات متنوعة تتحكم فيها وتقودها الولايات المتحدة لبسط سياسة الهيمنة".

وقد تم تقسيم هيكلية الدراسة على ثلاثة مباحث وخاتمة :

١ – المبحث الأول : نظرة تاريخية

---

[*] **باحث في قسم الدراسات الاوروبية –مركز الدراسات الدولية –جامعة بغداد.**

٢ –المبحث الثاني: المهام الجديدة للحلف

٣ –المبحث الثالث: المستقبل ومصداقية الحلف

ولقد تم اعتماد المنهج التاريخي في المبحثين الأول والثاني، فيما تم اعتماد منهج التحليل النظمي في المبحث الثالث.

المبحث الأول نظرة تاريخية

كانت التحولات الكبرى التي طرأت على الخارطة الجيوسياسية لأوروبا في اعقاب الحرب العالمية الثانية وبروز الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى على الساحة الجديدة ومعه دول اوروبا الشرقية ضمن ايديولوجية جديدة متناقضة مع مفاهيم وقيم الدول الغربية، هي العامل الأول وراء تأسيس حلف شمال الاطلسي (الناتو) في العام ١٩٤٩، وضم الحلف في بداية تأسيسه كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا وفرنسا وبلجيكا والدنمارك وآيسلندا وايطاليا واللوكسمبورغ وهولندا والنرويج والبرتغال، في عملية تحالف واسعة لدول تقع على ضفتي المحيط الاطلسي.

في عام ١٩٥٢ انضمت اليه تركيا واليونان، والمانيا الاتحادية في سنة ١٩٥٥ (ثم مرة اخرى عام ١٩٩٠ بعد اعادة توحيدها مع المانيا الشرقية)، واسبانيا في ١٩٨١، وجمهورية التشيك والمجر وبولندا في ١٩٩٩، وكل من بلغاريا واستونيا ولاتفيا ولتوانيا ورومانيا وسلوفاكيا وسلوفينيا في ٢٠٠٤ في اكبر عمليات الانضمام في تاريخ الحلف، وفي ٢٠٠٩ انضمت كل من كرواتيا والبانيا ، ليصبح عدد اعضاء الحلف (٢٨) ثمانية وعشرون دولة .

في سنة ١٩٦٦ ، انسحبت فرنسا من التنظيم العسكري للحلف مع بقاء عضويتها فيه[١]، ثم عادت مجدداً في سنة ١٩٩٦ الى التنظيم العسكري للحلف.

استند تشكيل حلف الناتو على ماجاء في المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة والتي تنص على حق الدول بالدفاع المشروع عن نفسها منفردة أو بالتعاون مع دول اخرى ، وبذلك فقد شكل الحلف تغييراً دراماتيكياً في السياسة الخارجية الامريكية ، إذ أصبح بإمكان الإدارة الأمريكية ولأول مرة في زمن السلم ، عقد احلاف عسكرية خارج القارة الامريكية .

١. **الغاية من تأسيس الحلف** : كانت الغاية من تأسيس الحلف مواجهة أي توسع سوفياتي أو ثورة شيوعية[٢]، كما ان الحلف يسعى لاقامة بنى داخلية قوية وتحقيق الرفاهية للدول الاعضاء في الحلف ، فضلاً عن اقامة رابطة دفاع جماعي للحفاظ على الأمن والسلم في المنطقة .

ينظم التزام الدول الاعضاء في الحلف ، بموجب المادة الخامسة من معاهدة حلف شمال الاطلسي والتي تعد أهم مادة في المعاهدة ، حيث تنص " تتفق الدول الاعضاء على ان أي هجوم يقع ضد واحد منها

[١] **أدمون جوف ، علاقات دولية، ترجمة منصور القاضي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ٤١.**

[٢] **بيار بيكال ، تاريخ العالم المعاصر (١٩٤٥ – ١٩٩١) ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ١٠٢.**

، أو أكثر ، في اوروبا أو شمال الاطلسي ، سيعد هجوماً ضدها جميعاً . ومن ثم، تتفق اذا ماوقع هذا الهجوم المسلح ، على ان يساعد كل واحد منها الطرف او الاطراف التي تعرضت للهجوم بان تتخذ على الفور ، فرادى أو بالتنسيق مع اطراف اخرى ، مثل هذا الاجراء مادام يعده ضرورياً ، شاملاً استخدام القوة المسلحة ، لاستعادة وحفظ أمن منطقة شمال الاطلسي " .

لقد وقت هذه المادة بالغرض على مدار السنوات الماضية لتأسيس الحلف ، إذ كانت الدول الاوروبية تتطلع – لاسيما في السنوات الاولى من عمر الحلف – الى القوة الامريكية المضمونة حينما لم تكن تمتلك ، هي نفسها ، قوة فاعلة تستطيع الوقوف بوجه القوة العسكرية الجبارة للاتحاد السوفياتي وحلف وارشو ، وبذلك فان تلك المادة قد وقت بالحاجة الاوروبية الاساسية[٣].

على الرغم من ان حلف الناتو ، قد انشأ اساساً ليعطي مثل ذلك الضمان لاوروبا ضد الخطر السوفياتي الذي كان يلوح في الافق آنذاك ، فان تأثيره السياسي في اوروبا الغربية ، كان لتعزيز المصالحة مع قوى المحور السابقة (المانيا وايطاليا) ، في وقت يدعم فيه قبولاً دائماُ لاعتماد متبادل عبر الاطلسي ، كما يأتي في الاهمية ايضا ، الانهاء الصعب للعداء الفرنسي – الالماني ، اذ عارضت فرنسا في البدء وبقوة أي صيغة لاعادة تسليح المانيا ، ولكن شيئاً فشيئاً ، تم تحقيق مصالحة سياسية ازدهرت في النهاية لتعطي حلفاً حقيقياً .

٢ – فرنسا والحلف :

كانت فرنسا احدى الدول المؤسسة لحلف الناتو ، الذي جاء كما هو معروف بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبرغم الانتصار العسكري الذي تحقق بهزيمة دول المحور وتحرير فرنسا ، الا ان النتيجة الأهم لتلك الحرب التي تركت أثراً سيئاً على كل قارة اوروبا ومنها فرنسا ، هو الضعف الاقتصادي والبشري والسياسي الذي أصاب القارة ، مما أثر بوضوح على موقفها على الساحة الدولية ، ولذلك كان تأسيس حلف الناتو ايذاناً بدور الريادة للولايات المتحدة على الساحة الاوروبية والتي حسمت بدخولها الحرب الثانية النتيجة التي آلت اليها تلك الحرب ، خاصة بعد ان حظت الولايات المتحدة بقيادة الحلف بعد تأسيسه .

لكن التغييرات الجوهرية التي طرأت على ساحة الصراع بعد امتلاك كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي للسلاح النووي ، والنزعة الاستقلالية لدى الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول ، أدت بالأخير في أيلول ١٩٥٨ الى الاعتراض على كيفية اتخاذ القرارات المهمة في الناتو ، فقد اقترح الجنرال ديغول ان تصبح قيادة الحلف قائمة على اساس ثلاثي دعامته الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة، الا ان الولايات المتحدة عارضت هذا الاقتراح بوصفها هي القوة النووية الاستراتيجية في الحلف[٤]، فضلاً عن ان الولايات المتحدة لم تقبل أي تحد مناوىء ومنافس لها في قيادة الحلف، حين ترى ان نفوذها المطلق في

---

[٣] **زبغنيو بريجنسكي ، اجندة للناتو نحو شبكة امنية عالمية ، فورين أفيرز ، أيلول – تشرين أول / ٢٠٠٩ .**

[٤] **اودونيس العكوة ، من الدبلوماسية الى الاستراتيجية ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٨١ .**

الحلف هو الثمن الذي ينبغي أن تقبل به اوروبا الغربية، مقابل مخاطر الحرب النووية التي يحتمل ان تنساق اليها الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفياتي في دفاعها عن حلفائها الاوروبيين .

كما ان فرنسا رأت ان دور وأهداف الحلف تغير اكثر من مرة ، ففي عام ١٩٤٩ كان الهدف من تأسيس الحلف هو توحيد وسائل الدفاع الغربية في مواجهة الكتلة الشيوعية ، على ان تحظى الولايات المتحدة بقيادة الحلف ، الا ان التغييرات التي فرضها امتلاك السلاح النووي ، تعني ان كلاً من الطرفين المتصارعين لن يتمكن من استخدامها ضد الآخر الا انطلاقاً من اراضي ليست اراضيه ، ويستهدف ايضاً اراضي هي ليست اراضي الخصم النووي ، بمعنى آخر سيستخدم السلاح النووي من وعلى اراضي اوروبا، ولذلك فلن الجنرال ديغول اعلن ان فرنسا لن تقبل بوجود الاسلحة النووية الامريكية على اراضيها الا بشرط تحكمها الكامل بها ، الأمر الذي رفضته الولايات المتحدة .

لكل تلك الاسباب ، فضلاً عن امتلاك فرنسا للقنبلة الذرية في عام ١٩٦٠ ، وتراجع الولايات المتحدة عن سياسة الانتقام الشامل وتبنيها لسياسة الرد المرن ، فقد اعلنت فرنسا في آذار ١٩٦٦ انسحابها من المجلس العسكري للحلف ، على ان تبقى موجودة داخل الجناح السياسي .

لقد اضعفت هذه النزعة الفرنسية السيطرة الامريكية على اوضاع الحلف وكادت تحدث فيه الانقسامات ، لا سيما بعد ان لقيت تجاوباً من المانيا الغربية في عهد المستشار ادناور ، مما يعني التقليل من فرص التوصل الى استراتيجية نووية أطلسية موحدة يمكن تطبيقها في مواجهة الاستراتيجية السوفياتية التي اتسمت بالالتزام الكامل من جانب حلف وارشو [٥].

على اثر انسحاب فرنسا من المجلس العسكري للحلف ، تم نقل المقر الرئيس لحلف الناتو من باريس الى بروكسل . ومن ثم لم يحاول الرؤساء الفرنسيون الذين تداولوا كرسي الرئاسة في فرنسا تغيير قرار الجنرال ديغول .

عقب نهاية الحرب الباردة وما حملته من تغييرات سياسية واستراتيجية ، بدأت تظهر أصوات في فرنسا تنادي بالعودة الى القيادة العسكرية لحلف الناتو ، وفي عام ١٩٩٦ قررت باريس المشاركة مجدداً في اجتماعات وزراء الدفاع واعادة ادخال قادتها الى اللجنة العسكرية . ومع صعود ساركوزي الى الحكم بدأت فرنسا باتخاذ خطوات فعلية للعودة الى الجناح العسكري للحلف ، اذ يرى ساركوزي في انضمام بلاده دعماً قوياً لفرنسا ، وبهذا فقد صوت اعضاء الجمعية الوطنية في ١٧ آذار ٢٠٠٩ لصالح عودة فرنسا الكاملة الى القيادة العسكرية للحلف [٦].

ان عودة فرنسا الى القيادة العسكرية لحلف الناتو ، منحت فرنسا دوراً اكبر في القارة الاوروبية سيما بعد توسع الحلف شرقاً وستضمن اقامة تحالف اوروبي قوي مع الحفاظ على استقلالية القرار الفرنسي ،

---

[٥] نزار اسماعيل الحيالي، دور حلف شمال الاطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٣، ص٣٨.

[6] http://www. Dw- world. De/dw/arride/ o"4105638.00.

وبذلك فأن المخاوف التي دفعت فرنسا للخروج من الحلف ، انعكست بالاتجاه الذي يؤكد بأن اوروبا ستكون قوية ومؤثرة عندما تأخذ فرنسا موقعها الحقيقي في الناتو والمتمثل في القيادة العسكرية للحلف وبذلك سيكون الدفاع الاوروبي أكثر قوة .

لقد تميزت حقبة الحرب الباردة بالنسبة الى حلف شمال الاطلسي ، بمأسسة ثلاثة تحولات بارزة في الشؤون العالمية[٧]:

١ –انتهاء " الحرب الاهلية " في الغرب الاوروبي والتي دامت قروناً لصالح هيمنة عابرة للمحيط .

٢ –التزام الولايات المتحدة بالدفاع عن اوروبا ضد التهديد السوفياتي .

٣ –الانهاء السلمي للحرب الباردة التي وضعت حداً للانقسام الجيو سياسي لأوروبا ، واوجدت الشروط المسبقة لاتحاد اوروبي ديمقراطي أوسع .

المبحث الثاني المهام الجديدة لحلف الناتو

ان مايميز سياسة الولايات المتحدة تجاه حلف الناتو واوروبا، بعد انتهاء الحرب الباردة، هو توجهها نحو توسيع الحلف نحو الشرق ليضم دول وسط وشرق اوروبا. ويرى البعض ان خيار التوسع هو الاسلس في اقامة "نظام أمن جماعي لكل اوروبا "في حين يرى آخرون ان توسيع الحلف يعد ظاهرة لمرحلة انتقالية مع كل ما تتضمنه من تردد وعدم توازن، اكثر مما يعد خياراً أمنياً لمنطقة عبرالاطلسي ، وتضيف وجهة النظر هذه، ان توسيع الحلف هو ليس لصالح العلاقة الاوروبية– الامريكية فحسب، وانما ايضاً لصالح المشكلة الامنية لدول وسط وشرق اوروبا[٨].

ويظهر واضحاً من ذلك ان المهام الامنية لحلف الناتو في اوروبا، تقع في المقدمة من تلك المهام التي يضطلع بها الحلف في اوروبا، رغم عدم انضواء جميع دول اوروبا في تلك الحلف، فضلاً عن تعدد المنظمات التي تقوم بتلك المهام . ولعله من المفيد الاطلاع على تلك المنظمات والدول المشاركة فيها[٩]:

١. المنظمات الدولية ذات النشاط الامني :

أ. اتحاد اوروبا الغربية (Western European Union (WEU

انشأ بموجب معاهدة بروكسل المعدلة لسنة ١٩٥٤ ومقره في بروكسل ، وقد تحولت الانشطة التشغيلية للاتحاد الى الاتحاد الاوروبي في سنة ٢٠٠٠ . ويضم الاتحاد كل من : بلجيكا ، فرنسا ، المانيا، اليونان ، ايطاليا ، اللوكسمبورغ ، هولندا ، البرتغال ، اسبانيا ، المملكة المتحدة .

---

[٧] **بريجنسكي ، المصدر السابق .**

[٨] **ينظر: د. احمد باسل ، المهام الجديدة لحلف شمال الاطلسي ، مجلة العلوم السياسية ، كلية العلوم السياسية –جامعة بغداد ، بغداد ، العدد (٢٦) ، ٢٠٠٢ ، ص ٥١ .**

[٩] **ينظر لمزيد من التفاصيل : معهد ستوكهولم لابحاث السلام الدولي –مركز دراسات الوحدة العربية ، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي ، الكتاب السنوي ، بيروت ، ٢٠٠٥ .**

ب. منظمة الأمن والتعاون في اوروبا Organization for Security and Co – Operation in Europe (OSCE)

انطلقت في سنة ١٩٧٣ بأسم مؤتمر الأمن والتعاون في اوروبا ، واتخذت صفتها الجديدة في سنة ١٩٩٥ وتحولت الى منظمة مقرها في فيينا ، لتكون اداة اساسية للتنبيه المبكر وتفادي النزاعات وادارة الأزمات . وتضم كل من : البانيا ، اندورا ، ارمينيا ، النمسا ، اذربيجان ، بيلاروسيا ، بلجيكا ، البوسنة والهرسك ، بلغاريا ، كندا ، كرواتيا ، قبرص ، التشيك ، الدنمارك ، استونيا ، فنلندا ، فرنسا ، جورجيا ، المانيا ، اليونان ، الفاتيكان ، هنغاريا ، ايسلندا ، ايطاليا ، كازاخستان ، قيرغيستان ، لاتفيا ، ليشتنشتاين ، لتوانيا ، اللوكسمبورغ ، مقدونيا ، مالطا ، مولدوفا ، موناكو ، هولندا ، النروج ، بولندا ، البرتغال ، رومانيا ، روسيا ، سان مارينو ، صربيا ، الجبل الاسود ، سلوفاكيا ، سلوفينيا ، اسبانيا ، السويد ، سويسرا ، طاجكستان ، تركيا ، تركمانستان ، المملكة المتحدة ، اوكرانيا ، الولايات المتحدة ، اوزبكستان.

ج. كومنولث الدول المستقلة Commonwealth of Independent States

نشأت في العام ١٩٩١ كأطار للتعاون المتعدد بين الجمهوريات السوفياتية السابقة . مقرها الرئيس في مينسك في بيلاروسيا، وتضم كل من: روسيا ، بيلاروسيا ، ارمينيا ، اذربيجان ، كازاخستان، قيرغيزستان، مولدافيا ، طاجيكستان ، تركمانستان، اوكرانيا ، اوزبكستان .

د. الشراكة من اجل السلام (Partnership for Peace (PFP

انطلق برنامج الشراكة من اجل السلام في سنة ١٩٩٤ من اجل التعاون السياسي والعسكري بين الناتو والدول الشريكة في اطار مجلس الشراكة الاوروبية الاطلسية . وهو مفتوح امام كل الاعضاء في منظمة الأمن والتعاون في اوروبا القادرة على المساهمة في البرنامج .

هـ. لجنة الناتو – اوكرانيا NATO – Ukraine Commission انشأ سنة ١٩٩٧ للتشاور بشأن القضايا السياسية والامنية وتفادي النزاعات وحلها ومنع الانتشار والمراقبة .

و. مجلس الشراكة الاوروبية الاطلسية (Euro – Atlantic Partnership Council (EAPC

انشأ هذا المجلس في العام ١٩٩٧ لتأمين اطار شامل للتعاون بين حلف شمال الاطلسي وشركائه في الشراكة من اجل السلام. ويضم جميع اعضاء حلف شمال الاطلسي فضلاص عن: البانيا، أرمينيا، النمسا، اذربيجان، بيلاروسيا، كرواتيا، فنلندا، جورجيا، ايرلندا، كازاخستان، قيرغيزستان، مقدونيا ، مولدوفا ، روسيا ، السويد ، سويسرا ، طاجكستان ، اوكرانيا ، اوزبكستان .

ز. حلف الاستقرار لجنوب شرق اوروبا Stability Pact for South Eastern Europe

اطلقه الاتحاد الاوروبي في المؤتمر الخاص بجنوب شرق اوروبا المنعقد في سنة ١٩٩٩ في مدينة كولونيا الالمانية ، ووضع في وقت لاحق تحت اشراف منظمة الامن والتعاون في اوروبا . ويسعى الحلف الى تعزيز الاصلاحات السياسية والاقتصادية والتنمية والأمن المعزز ويضم كل من : البانيا ، النمسا ، بلجيكا ، البوسنة والهرسك ، بلغاريا ، كندا ، كرواتيا ، قبرص ، التشيك ، الدنمارك ، استونيا ، فنلندا، فرنسا ،

المانيا ، اليونان ، هنغاريا ، ايرلندا ، ايطاليا ، اليابان ، لاتفيا ، ليتوانيا ، اللوكسمبورغ، مقدونيا، مالطا، مولدوفا ، هولندا ، النروج ، بولندا ، البرتغال ، رومانيا ، روسيا ، صربيا ، الجبل الأسود، سلوفاكيا ، سلوفينيا ، اسبانيا ، السويد ، سويسرا ، تركيا ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة . وشركاء آخرون منهم الاتحاد الاوروبي وحلف الناتو .

ح. مجلس الناتو – روسيا NATO – Russia Council

انشأ في العام ٢٠٠٢ كآلية للتشاور وبناء الاجماع والتعاون بشأن القضايا الامنية والتعاون والأمن ومكافحة الارهاب ومنع الانتشار وادارة الازمات .

ط. مبادرة أمن الانتشار (Proliferation Security Initiative (PSI

تقوم على مبادرة امريكية اعلنت في عام ٢٠٠٣ ، للتعاون في مجال فرض القانون بهدف اعتراض ومصادرة اسلحة الدمار الشامل وتقانات الصواريخ . وتضم : استراليا ، كندا ، الدنمارك ، فرنسا ، المانيا ، ايطاليا ، اليابان ، هولندا ، النروج ، بولندا ، البرتغال ، روسيا ، سنغافورة ، اسبانيا ، تركيا ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة .

ي . منظمة معاهدة الأمن الجماعي Collective Security Treaty Organization CSTO .

انشأت هذه المنظمة في مايس ٢٠٠٣ ، وقد انبثقت عن معاهدة الأمن الجماعي لسنة ١٩٩٢ لتعزيز التعاون بين دول الاطراف ، ومن أهدافها توفير رد أكثر فعالية على المشكلات الاستراتيجية في المنطقة مثل الارهاب وتهريب المخدرات . مقرها في موسكو وتضم كل من : روسيا ، بيلاروسيا ، أرمينيا ، كازاخستان ، قيرغيزستان ، طاجيكستان .

ومن الجدير بالذكر ، ان الاتحاد الاوروبي يستند في مجالات الأمن على كل من : حلف شمال الاطلسي ، منظمة الأمن والتعاون في اوروبا ، اتحاد اوروبا الغربية .

يتضح من هذا الطيف الواسع من الاحلاف والمنظمات التي تضطلع بمهام الأمن في أوروبا ، ان اغلبها قد انشأ بعد انتهاء الحرب الباردة ، وان الغرض الظاهر من انشائها هو المساعدة مع حلف الناتو – الذي يقوم بالدور الاكبر في مهام السياسة والأمن في اوروبا – على بسط الأمن في اوروبا من خلال ضم اكبر عدد من الدول الاوروبية ودول الاطراف لتلك الاحلاف والمنظمات ، بحيث تمهد الطريق لتمدد وتوسع حلف الناتو في وسط وشرق اوروبا ، ومن ثم التواجد العسكري الامريكي على شكل قواعد ثابتة عسكرية أو استخباراتية أو مساعدات تدريبية ، وهذا مايلا حظ بوضوح انطلاقاً من وسط وشرق اوروبا وصولاً الى آسيا الوسطى .

٢. أسباب استمرار حلف شمال الاطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة :

بعد انتهاء الحرب الباردة وفي ظل الوضع الصعب الذي كانت تعيشه روسيا الاتحادية بعد تفكك الاتحاد السوفياتي ، اطلقت الولايات المتحدة الدعوة لتوسيع حلف الناتو ، خلافاً لاعتقاد الكثير من ان مهمة الحلف قد انتهت .

وبالتأكيد هناك اسباب كثيرة وراء الدعوة الامريكية لاستمرار وتوسيع الحلف ، ولعل من اهم تلك الاسباب [١٠]:

أ. **الاكلاف الباهظة لصيانة النظام الدولي** ، يعتقد البعض بان الولايات المتحدة بحاجة الى منظور كأساس فكري للسياسة الخارجية بين وجهات النظر الانعزالية والتدخلية في الشؤون العالمية ، فليس من السهل ان تختار الولايات المتحدة بين الهيمنة والعزلة الدولية ، لأن الهيمنة العالمية أمر باهض الثمن اقتصادياً ، بينما العزلة باهظة الثمن سياسياً .

ان مؤسسة السياسة الخارجية الامريكية تندد دوماً بالاكلاف الباهظة لصيانة النظام الدولي بعد الحرب الباردة ، وبسبب غياب قوة عسكرية مناهضة فان الولايات المتحدة ترغب بترتيب الاوضاع العالمية بواسطة ترتيبات تنظيمية تقوم برسمها مع حلفائها ، وليس هناك أفضل من حلف الناتو للمشاركة في هذه المهمة ذات الابعاد العالمية .

ب . **الرغبة في احتواء النفوذ الالماني** ، لاسيما انه من الصعب حصر المانيا بدور عسكري فقط ، فهي كانت تمثل خط المجابهة الأول مع الاتحاد السوفياتي ، بمعنى انه يتطلب لها دور سياسي في اوروبا يتناسب مع امكانياتها الاقتصادية ، سيما مع القلق الاوروبي الذي يرى ان المانيا باقتصادها وصناعتها المتعددة قادرة على فرض هيمنة على اوروبا في حال اتخذ قادتها قراراً بتحويلها الى قوة عسكرية خاصة انها كانت مصدراً لحربين عالميتين .

وهكذا سيكون حلف الناتو كابحاً لالمانيا ومقيداً لحركتها ومانعاً ان تبني لنفسها تطلعات تستهدف الهيمنة على القارة ، حيث سيكون الحلف الاداة لمواجهة وكبح عناصر القوة الالمانية بحيث تبقى مقيدة بالحدود المرسومة لها منذ نهاية الحرب الثانية.

ان خروج المانيا من الحلف، أو انهاء الحلف لنفسه، سيدفع المانيا الى بناء قدراتها العسكرية وربما حتى امتلاك القنبلة النووية، لذلك فان وجود الحلف معناه الضمان الكبير لمنع اية اختلالات مصدرها المانيا لتوازنات القوة.

ج. **خرج الاوروبيون من الحرب الباردة وهم في كامل قوتهم الاقتصادية** ، حيث يسيطرون على ثلث التجارة العالمية وينتجون اكثر من اي بلد آخر ، ولكنهم يفتقدون الى ارضية مشتركة مستقلة على المستوى الاستراتيجي العام . كما ان بناء استراتيجية عامة جديدة يتطلب تعديلات جوهرية في ميزان الدفاع الاوروبي .

ان حلف الناتو بما يملكه من استراتيجية امنية متكاملة من حيث الوسائل والاهداف وما يفرضه من التزامات عسكرية بين اعضائه ، هو افضل من بناء تكامل اوربي مشكوك فيه .

د. **تشعر الدول الاوروبية بقلق كبير حيال مستقبل روسيا الاتحادية** ، هذه الدولة الواسعة المترامية الاطراف بما تملكه من امكانيات هائلة . فالاوضاع الداخلية غير مستقرة ، والاقتصاد ضعيف . وتخشى الدول

---

[١٠] **د. سعد حقي توفيق ، محاضرات في النظام الدولي القيت على طلبة الماجستير ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ .**

الاوروبية من نهضة روسيا لبسط هيمنتها من جديد على منطقة وسط وشرق اوروبا ، وهذا ما يفسر اصرار دول هذه المنطقة للانضمام الى الحلف ، رغم انه يجلب لهم عداوة روسيا .

ولذلك فان بقاء الناتو وتوسعه ، هو ضمان لبقاء روسيا ضمن حدودها التي رسمته منذ تفكك الاتحاد السوفياتي ، كما ان تحول الحلف نحو الشرق يعني ضمان عدم تحول روسيا الى دولة امبراطورية ذات مطامع اقليمية .

ان انضمام الدول التي كانت دائرة في فلك الاتحاد السوفياتي السابق ، الى حلف الناتو ، تعني ان الحلف سيقوم بملأ الفراغ الامني الذي وجدت تلك الدول نفسها فيه بعد انتهاء الحرب الباردة ، كما انه سيكون كابحاً للصراعات التأريخية المتصلة منذ الحكم العثماني .

هـ. ان انتهاء الحرب الباردة بالطريقة التي تمت، يعني تحقيق نصر غير مسبوق للغرب، مما يعطيه (الحق) بفرض سيطرته على العالم لانه لم يعد هناك من يعيق هذه المهمة.

يرى البعض ، ان الولايات المتحدة تهدف من جراء توسيع حلف الاطلسي نحو الشرق الى تحقيق مجموعة من المصالح الجديدة ، اهمها[١١]:

١ –تنمية وتكوين الهوية العسكرية الاوروبية التي لم تتكون بعد ضمن الحلف .
٢ –دمج وسط وشرق اوروبا في تنظيم غربي للتعاون في مجالات شتى .
٣ –تقوية الوجود الامريكي في اوروبا والمحافظة عليه .
٤ –يعد الحلف اداة للتعبير السياسي والعسكري الامريكي في اوروبا .
٥ –منع انتشار اسلحة الدمار الشامل .
٦ –زج اوروبا وبشكل فاعل في عملية تحقيق السلام والحرية والرفاهية في كل مكان من العالم .
٧ –احتواء روسيا وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق .
٨ –تحقيق المستوى الغربي لديمقراطية ومبدأ سيادة القانون والحريات الانسانية والاقتصادية .

وهكذا يبدو واضحاً ، ان غاية الولايات المتحدة من توسيع الحلف ، هو المحافظة على التفوق العسكري والاقتصادي لمدة طويلة من خلال اعاقة ظهور اية قوة في اوروبا وخارجها تتحدى الولايات المتحدة .

٣. موقف القوى الرافضة للحلف :

هذا التوجه ، قوبل بموقف روسي رافض ، فروسيا تنظر الى حلف الناتو بعين الشك والريبة كما كان ينظر اليه في وقت الاتحاد السوفياتي ، وتعده تهديداً لمصالحها القومية العليا ، فآثار الحرب الباردة مازالت كامنة في النفوس .

كما ان هناك كثير من الاراء التي تشارك روسيا معارضتها لسياسة توسيع حلف الناتو ، وذلك للاعتبارات الآتية :

---

[١١] **د. احمد باسل ، المصدر السابق ، ص ٥١ ، نقلاً عن تشارلس وستون .**

١ –ان توسيع حلف الناتو يمثل اسلوباً غير أخلاقي موجه لتهديد روسيا .
٢ – ان توسيع الحلف يؤدي الى نقض او انتهاك حرمة الوعود التي اعطيت الى روسيا وقت توحيد المانيا .
٣ –ان اقامة رابطة أو منظمة غير عسكرية لخدمة المصالح الامنية المشتركة لدول غرب وشرق اوروبا، تعد أفضل من توسيع الحلف.
٤ –ان توسيع الحلف يعني نشر القوة العسكرية الغربية لتصل الى تخوم روسيا الاتحادية ، وهذا يؤدي الى اثارة المخاوف لديها ، ويشكل عامل قلق وازعاج ويبعث الى عدم الاستقرار .
٥ –ان توسيع الحلف يؤدي الى تقوية النزعات القومية في روسيا .
٦ – ان توسيع الحلف سيؤدي بروسيا الى تعزيز التحالف مع القوى المناهضة الأخرى ، خاصة مع الصين .

لم تقتصر المهام الجديدة لحلف الناتو على التوسع شرقاً ، بل انطلق جنوباً نحو منطقة البحر المتوسط وافريقيا ، لا سيما ان الولايات المتحدة تهتم كثيراً بضمان أمن خطوط مواصلاتها عبر المضايق الخانقة في الدردنيل والسويس وجبل طارق وباب المندب ومضيق هرمز .

ان المبدأ الذي يستند اليه تحول الناتو الحديث هو الطموح الى العمل على مستوى عالمي في مهمات متنوعة . وقد بدأت عملية الاصلاح بمجموعة قرارات اتخذت في مؤتمر الناتو في براغ (٢٠٠٢) ، وعلى امتداد عملية التوسيع ، واصل الناتو اعادة هيكلة قيادته الاستراتيجية وتحسين قدراته وبناء علاقات جديدة بغية نشر الاستقرار والأمن على نحو أفضل ، مفضلاً عن ذلك الاهتمام بالشرق الاوسط الكبير بما فيه جنوب البحر المتوسط والمحيط الجنوبي لفضاء مابعد العهد السوفياتي ، حيث قال القائد الاعلى للتحالف في اوروبا الجنرال جيمس جونز، ان في امكان الناتو توجيه نشاطه نحو أفريقيا [١٢].

ان توجه حلف الناتو جنوباً، يقود للحديث عن الرؤية الاوروبية للبعد الامني، فمع انتهاء الحرب الباردة ، تغيرت الرؤية الامنية للدول الاوروبية وصارت ترتبط بموقع كل دولة . ففي وسط وشمال القارة ، ينظر الى الفوضى الناشئة عن تفكك الاتحاد السوفياتي على اساس انها المصدر الاول لتهديد الأمن الاوروبي ، بينما النظرة الغالبة في جنوب القارة ان التهديد يأتي اساساً من جنوب المتوسط. وهو الامر الذي يشرح الخلاف بين رؤية ساركوزي لمشروع الاتحاد المتوسطي ورؤية ميركل لمشروع الاتحاد من أجل المتوسط. ان التهديدات القادمة من الجنوب لها جذورها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولذلك لاتكفي القوة العسكرية وحدها لضمان الأمن الاوروبي، ومن ثم يجب وضع سياسة شاملة تتضمن كل هذه الجوانب، وهذا يعكس التحول الذي طرأ على مفهوم الأمن بعد الحرب الباردة [١٣].

ان التصورات المتعلقة بالأمن لما بعد الحرب الباردة ، تركز على ان الأمن ظاهرة ذات طبيعة شمولية ومعقدة ، ولا يتألف فقط من مكونات عسكرية بقدر مايشتمل على مكونات اقتصادية واجتماعية

[١٢] **Atlantic News : 23L1L2004, p.3.**

[١٣] **بيتر بلادو ، اوروبا والبحر المتوسط ، السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد (١٢٤) ، ابريل ١٩٩٦ ، ص ١١٤ .**

وثقافية وانسانية . وهنا يمكن فهم الشراكة الاورو –متوسطية ومشروع الاتحاد من اجل المتوسط ، فهي فكرة تقوم على الاهمية الاستراتيجية لهذه الشراكة في دعم السلم والاستقرار ، اذ لايمكن التكلم عن الأمن دون التكلم عن التنمية الاقتصادية والتطور السياسي لأن الأمن لايعني الهيمنة والردع فقط .

وتجدر الاشارة هنا الى قمة واشنطن ١٩٩٩ لحلف الناتو ، حيث اتخذت قرارات غيرت الرؤية الامنية التي تم تبنيها خلال حقبة الحرب الباردة ، حيث اصبح من حق الحلف التدخل خارج محيطه الجغرافي . وقد حددت الوثيقة التي اعتمدتها القمة ، المخاطر العالمية والتهديدات الامنية التي تستدعي تدخل الحلف ، وتشمل[١٤]:

١ –احتمال انقطاع الامدادات الحيوية ، كالنفط مثلاً .
٢ –وقوع اعمال ارهابية انطلاقاً من بلد خارج بلدان الحلف .
٣ –نشوء حركة تشريد أو هجرة جماعية من منطقة ما .
٤ –انتهاك حقوق الانسان على نطاق واسع .
٥ –استفحال الجريمة المنظمة ، مثل تجارة المخدرات .
٦– احتمال وصول اسلحة الدمار الشامل الى بلد غير مرغوب .

٤. أهم المحطات لمهام حلف الناتو ، قبل الدخول في بيان أهم المحطات لمهام حلف الناتو الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة ، لابد من توضيح طبيعة العلاقة بين حلف الناتو ومنظمة الأمم المتحدة ، فالولايات المتحدة ترى ان المفهوم الاستراتيجي للحلف يعني تحريره من أية علاقة مع الأمم المتحدة ، بمعنى صرف النظر عما جاء بمعاهدة انشاء الحلف التي توجب اطلاع مجلس الامن على الاعمال التي يقوم بها الحلف في مجال الدفاع . وهذا ماتريده الولايات المتحدة باعطاء الحلف صلاحية التدخل السريع في الازمات الدولية التي تمس مصالح الدول الاعضاء :

أ. تدخل حلف الناتو في يوغسلافيا (١٩٩٩) : كان بسبب اقليم كوسوفو قد حدث دون تخويل من مجلس الأمن ، وكان قراراً امريكياً محضاً ، فمجلس الأمن رفض منح الحلف حق التدخل .

لقد كان تدخل حلف الناتو في اقليم كوسوفو ومقدونيا ، فرصة سانحة لوضع استراتيجية الحلف الجديدة موضع التطبيق والتي تقوم على تغيير دوره من حلف دفاعي الى مؤسسة عسكرية لها صلاحيات التدخل العسكري داخل حدوده وخارجها ، ثم التأسيس للتدخل في النزاعات الاقليمية في اي منطقة في العالم ، كما يوضح هذا التدخل تحظي الحلف لمجلس الأمن ووضع النظام الدولي بيده وقيادة الولايات المتحدة .

ب. افغانستان : اصبحت افغانستان اولوية اساسية واختباراً لمصداقية الناتو وقدرتها على العمل خارج اوروبا ، ومنذ آب ٢٠٠٣ تولى الناتو قيادة قوة المساعدة الامنية الدولية (ISAF) ، كما قاد ملئ الفراغ الامني في افغانستان وهو الفراغ الموجود عملياً في كل بقعة خارج كابل ، علاوة على تعزيز جهود بناء الدولة

[١٤] **د. نجوش مصطفى ، التحول في مفهوم الأمن والترتيبات الامنية في المتوسط ، السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد (١٧٤) ، اكتوبر ٢٠٠٨ ، ص ١٤٦ .**

واعادة الاعمار وتسريح المليشيات الكثيرة التي سبق لها أن قاتلت طالبان وتجريدها من السلاح ودمجها في الجيش الافغاني الجديد .

ولا زالت قوات حلف الناتو متورطة في المستنقع الافغاني لحد الآن ، دون ظهور بوادر انفراج عسكري ، بل على العكس شهدت الايام الاخيرة تنامي وتعاظم قوات طالبان بحيث باتت تسيطر على نحو ٨٥ % من الاراضي الافغانية .

ج . العراق : استمر الانقسام حول العراق في الناتو في العام ٢٠٠٤ ، حيث دعت الولايات المتحدة الى تدخل الناتو بشكل أعمق ، ووقف في وجه هذه الدعوة كثير من الدول الاعضاء الاوروبية التي التفت حول فرنسا والمانيا ، وقد تصورت المقترحات الامريكية بخصوص " تدخل فعال " ، أو " دور جماعي جديد " منذ العام ٢٠٠٣ مشاركة اوسع للناتو في العراق ، ربما في اطار سياسة أرحب تجاه الشرق الاوسط . غير انه في ظل التهديد المحتمل من الافراط في التمدد ، وهو التهديد الذي كان الناتو يواجهه في افغانستان ، كل يصعب كيف يمكن للناتو المشاركة بنجاح في نقطة ساخنة أخرى .

وتلقت فكرة زيادة تدخل الناتو ضربة موجعة بفعل قرار حكومة الحزب الاشتراكي الاسبانية بالانسحاب من العراق في ربيع ٢٠٠٠، وكذلك قرار كل من هنغاريا وبولندا والتشيك سحب قواتهم .

وبحلول منتصف العام ٢٠٠٤ ، كانت افكار مختلفة قد طرحت من اجل زيادة تدخل الناتو المباشر في العراق ، لكن اتضح في قمة اسطنبول انه لم يكن في وسع التحالف بقيادة الولايات المتحدة أن يتوقع تأييداً لتوريط قوات عسكرية تابعة للناتو في العراق . وكان أقصى مايمكن تحقيقه هو موافقة دول الناتو على تزويد قوات الأمن العراقية بعناصر بشرية تدريبية ، دون مهمة قتالية[١٥].

المبحث الثالث المستقبل ومصداقية الحلف

لقد كان تدخل الحلف في يوغسلافيا بقيادة الولايات المتحدة ، والذي يمثل باكورة مهامه الجديدة يحمل في طياته اكثر من رسالة:

١ – الاولى موجهة الى الدول الاوروبية والاعضاء في الحلف ، بانه لاجدوى من معارضتها للمفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف، وان الولايات المتحدة هي صاحبة الاختصاص الاصيل في اعادة ترتيب القواعد التي تحكم العلاقات الدولية .

٢ – الثانية موجهة الى الدول الاوروبية غير الاعضاء في الحلف ، وفحواها ان استقرارها ورفاهيتها يعتمد بالدرجة الاولى على ماتتخذه الولايات المتحدة من قرارات .

٣ – الثالثة موجهة الى روسيا ، بأن تتوقف عن معارضتها لتوسيع الحلف ومقاومة مهامه الجديدة[١٦].

أ. الاستراتيجية الجديدة للحلف :

---

[١٥] **التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٨ – ١٤٠ .**

[١٦] **عماد جاد ، حلف الاطلنطي والحرب في البلقان ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد (١٢٩) ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٤ .**

لقد دشن حلف الناتو في يوغسلافيا ، استراتيجيته الجديدة ضارباً عرض الحائط كل ما استقر عليه النظام الدولي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومؤسساً بذلك لعصر الهيمنة الامريكية الجديد بعد ان استفردت الولايات المتحدة بثلاثية القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية ، بحيث اصبحت المهمة هي التي تحدد التحالف .

لقد القت عملية توسيع الناتو ضوءاً ساطعاً على مستقبل مجلس الشراكة الاورو – أطلسية وبرنامج الشراكة من اجل السلام . فبخروج سبع دول من الشراكة من اجل السلام لتصبح اعضاء في الناتو ، خضع الناتو لتغيير جيوستراتيجي شرقاً باتجاه القوقاز وآسيا الوسطى ، حيث كان على الناتو التعامل مع شركاء شديدي المراس سياسياً كان بعضهم اسرى أزمات وصراعات . وبصورة أعم يواجه الحلف هنا تحدياً في اقامة توازن بين سعيه لاجراء تحول ديمقراطي وبناء مؤسسات دفاعية ، من ناحية ، وصعوبة التعامل مع انظمة محلية ذات طابع سلطوي ، من ناحية اخرى .

في الاشهر الاولى من العام ٢٠٠٤، عرضت الولايات المتحدة افكارا من اجل "مبادرة للشرق الاوسط الكبير" خاصة بالناتو لتشجيع الاصلاح والديمقراطية في العالم العربي. وكانت المبادرة سياسية اكثر مما هي عسكرية ، رسمتها الولايات المتحدة للمساعدة في معالجة الانقسامات عبر الاطلسي بعد حرب العراق ومنع التهديد الذي قد تولده الاستراتيجيات الاوروبية والامريكية للمنطقة . وتضمنت الخطة الثلاثية الابعاد ، التشجيع على حكم جيد وتعليم أحسن ونمو اقتصادي، والتطابق مع عملية الاتحاد الاوروبي المعروفة بـ"عملية برشلونة" والمعنية بالارتباط مع دول البحر المتوسط بشبكة من الترتيبات الاستراتيجية والسياسية وتحقيق تحسن على صعيدي حقوق الانسان والمسألة الاقتصادية . وستكون مهمات الناتو المساعدة في اعادة بناء افغانستان والعراق الى الشرق الاوسط بموجب صيغة جديدة لـ " الشراكة من اجل السلام"[١٧].

لكن امر فكرة توسيع دور الناتو في مبادرة الشرق الاوسط الكبير ، انتهى الى نتيجة متواضعة ، فقد خيمت على النقاش خلافات حول العراق ، ومخاوف من الافراط في توسيع الحلف ، وانعدام الاتفاق حول نطاق المشروع ومداه الجغرافي ، ولا يقل عن ذلك كله ردة الفعل السلبية والعزوف في العواصم العربية .

ب. التحديات التي تواجه الحلف :

ان التحديات الاساسية التي تواجه حلف الناتو في مفهومه الجديد للتعامل مع المعضلات الامنية الحالية والمستقبلية ، تتحدد في اربعة مؤثرات[١٨]:

١ – الحصول على نتيجة مقبولة سياسياً لمشاركة الناتو المتعمقة في النزاعات الافغانية والباكستانية المتداخلة مع بعضها البعض.

٢ – تحديث معنى " الأمن الجماعي " والتزاماته كما ورد في المادة الخامسة من اتفاقية الحلف .

---

[١٧] **International Herald Tribune, Plan to Help the Greater Middle East,15/3/2004.**

[١٨] **زبغنيو بريجنسكي ، المصدر السابق .**

٣ – اشراك روسيا في علاقة ملزمة وذات نفع متبادل مع اوروبا ومجتمع شمال الاطلسي الاوسع .
٤ – الاستجابة للمعضلات الامنية العالمية الجديدة .

استناداً الى هذه المستويات المختلفة والمتشابكة من التحدي ، ففي الموضوع الافغاني ، كانت خلاصة مراجعة ادارة اوباما الجديدة ، انه لايمكن الوصول الى افغانستان مستقرة بالوسائل العسكرية وحدها . بل سيتطلب تحقيق هذا الهدف الجمع بين جهد عسكري يأبى ان يمنح النصر لطالبان ، وجهد مالي دولي لتحسين رفاهية الشعب الافغاني وتفعيل اداء الحكومة الافغانية . لكن الامور تزداد تعقيداً بزيادة التورط الباكستاني في المشكلة ، حيث ان الصراع مع طالبان لايمكن حله دون مساندة سياسية وعسكرية حقيقية تقدمها باكستان ، فضلاً عن انها اضحت قاعدة لوجستية لايمكن الاستغناء عنها في تقديم الدعم وتأمين طرق المواصلات عبرها للقوات الامريكية وحلف الناتو في افغانستان . هذه المساندة الكاملة صعبة ومتعذرة التحقيق نظراً للكثافة المتزايدة للمشاعر الاصولية في باكستان وعلى وجه الخصوص لدى القبائل ، وايضاً الى المخاوف الجيوسياسية لدى الجيش الباكستاني من ان أمن بلده يتعارض مع المصالح الامريكية والبريطانية المتعلقة بمصالح الهند ، كما ان هناك الصين وتنافسها مع الهند ورهانها الاستراتيجي في بقاء باكستان دولة قوية ، وايضاً ايران وموقفها المتشعب والمتشابك تجاه كل من الولايات المتحدة وطالبان .

ان مسعى جدياً يقوم به الناتو لاشراك الصين والهند في حوار استراتيجي حول الكيفية الافضل لتفادي انفجار يقع على امتداد المنطقة سيكون حتماً في وقته المناسب .

ان الصورة تبدو الآن قاتمة في افغانستان ، بحيث يمكن ان تصبح حملة حلف الناتو المستندة الى المادة الخامسة طويلة على نحو مؤلم ومصدر انقسام مدمر .

اما بصدد روسيا ، فهي ترى ان قيام حلف الناتو باستخدام القوة العسكرية خارج مسؤوليته يؤدي الى زعزعة الاستقرار في العالم ، وتهديد الأمن القومي الروسي ومصالحها في العالم . وعليه فان روسيا تسعى لضمان قدرتها على الايفاء بالتزاماتها وخلق توازن عسكري استراتيجي مستقر[١٩].

كما ان حلف الناتو، يحتاج ايضاً الى ان يحدد لنفسه هدفاً استراتيجياً فيما يخص علاقته مع روسيا الاتحادية . فروسيا لم تعد عدواً ، ولكنها مازالت تنظر للناتو بعين العداوة والبغضاء ، وليس مرجحاً ان يخبو العداء قريباً ، ومن المرجح ان تسعى السياسة الروسية تجاه الناتو، يحركها الاستياء من الهزيمة الروسية في الحرب الباردة والعداء القومي لتوسع الناتو ، الى دعم الانقسام بين الولايات المتحدة واوروبا، وداخل اوروبا ، وبين اعضاء الحلف القدامى والجدد .

كما انه على حلف الناتو، ان يحدد هدفين استراتيجيين ازاء روسيا: تعزيز الأمن في اوروبا من خلال ارتباط روسي سياسي وعسكري اوطد مع المجتمع الاورو–أطلسي ، واشراكها في شبكة أوسع للأمن العالمي .

[١٩] وثيقة الأمن القومي الروسي (١٠كانون الثاني٢٠٠٠)-مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد (١٤٠)، ٢٠٠٠، ص٢٩٠.

كما ان الاتحاد الاوروبي، يستطيع ان يكون اداة مثمرة لدعم التغيير الايجابي في شرق اوروبا. ويمكن ان تكون "الشراكة الشرقية " التي اقترحتها بولندا والسويد اداة فاعلة لدعم روابط أوطد بين الاتحاد الاوروبي وروسيا.

من ناحية أخرى، فان النهوض الاقتصادي الكبير للصين والهند، والتعافي السريع لليابان بعد الحرب الثانية، ضربت كلها على وتر ان مركز الجذب السياسي والاقتصادي يتجه شطر آسيا والباسفيك مبتعداً عن شمالي الاطلسي، خاصة ان هذه الدول ترغب في تغيير النظام الدولي الجديد. وقد عكست هذه التغييرات (اضمحلالاً في التسلسل الهرمي لحقبة مابعد الحرب الثانية وتشتيتاً للقوة العالمية). وقد ساهمت الادارة الامريكية على نحو بعيد من الحكمة في بلورة القضايا التي تطرح تهديدات حالياً. وجاء التدخل العسكري باستخدام القوة المتغطرسة لواشنطن في العراق، وشعاراتها عن الخوف من الاسلام ليضعف وحدة الناتو، وليسلط مشاعر الامتعاض المستفزة لدى المسلمين على الولايات المتحدة والغرب عموماً.

ان حلف الناتو، يشكل اليوم التحالف العسكري والسياسي الاقوى في العالم. اذ ينتمي اعضاؤه الثماني والعشرون الى منطقتي العالم الاكثر انتاجية والمتقدمة تكنولوجياً والعصرية اجتماعياً والمزدهرة اقتصادياً والديمقراطية سياسياً . ان قدرة حلف الناتو العسكرية لتحقيق أمن جماعي، تأتي في الغالب من الولايات المتحدة ، وليس من المرجح ان تتغير هذه الحقيقة في وقت ما قريباً. وتجيء قدرة الناتو الفعلية من حقيقة انه يجمع بين القدرات العسكرية والقوة الاقتصادية الامريكية، وبين الثقل السياسي والاقتصادي لأوروبا. لذلك يتحتم ان يبقى حساساً ازاء اهمية المحافظة على الرابط الجيوسياسي بين الولايات المتحدة واوروبا.

ان التحديات الاساسية الجديدة التي تواجه الناتو، تتمثل في مخاطر لم يسبق لها مثيل على الصعيد التاريخي يتعرض لها الأمن الجماعي. اذ لايهدد العالم اليوم تعصب عسكري لدولة قومية طامعة بالاراضي، او طموح قسري لايديولوجية ذات انتشار عالمي. ان الخطر الكبير الذي يتهدد العالم يكمن في امكانية الوصول المتنامي لاسلحة الدمار الشامل، ليس الى الدول فحسب بل الى الحركات السياسية والدينية المتطرفة، فضلاً عن انتشار الارهاب الواسع، والصحوة الجديدة للهوية السياسية القومية والدينية الناتجة عن تلك الذكريات الاليمة عن الاستعمار الاوروبي والتدخل الامريكي.

الخاتمة:

ان حلف الناتو لم يعد حلفاً دفاعياً ، كما كان مرسوماً له عند تأسيسه، وانما تحول الى حلف ذي مهام عسكرية سياسية يعمل لصالح تكريس ونشرالهيمنة الامريكية . ويؤشر هذا التغيير في استراتيجية الحلف، البداية لعولمة حلف الناتو، أي العولمة العسكرية لكي ترافق باقي انواع العولمة.

ان قيام حلف الناتو بمهام جديدة، يأتي متسقاً مع سعي الولايات المتحدة لأقامة نظام دولي جديد على اساس القطب الواحد لولوج مرحلة النيوامبريالية.

لقد مر الناتو بأقسى اختبار في تاريخه ، وواجه احتمال حدوث تهميش مطرد في العلاقات عبر الاطلسية على يد عضوه الرئيس، الولايات المتحدة، خلال حرب العراق عام ٢٠٠٣. ولقد اطلق الناتو

مبادرات جديدة وواصل العمليات الجارية خارج منطقة نشاطه في افغانستان والعراق، في خطة شراكة اوسع في الشرق الاوسط، ومن خلال تدخل اعمق في القوقاز وآسيا الوسطى. وكان الهدف مداواة الصراع عبر الاطلسي وتوسيع التزامات الناتو العالمية، بحيث يمكن ان يظهر بديلاً ذا مصداقية عن "تحالفات طوعية "تقودها الولايات المتحدة. وكان التساؤل عما اذا كان في الامكان ايجاد التصميم السياسي الموحد والضروري، وعما اذا كان في الامكان مجاراة طموحات الناتو والتزاماته بموارد كافية .

ان الناتو يواجه الآن تحديات وامتحاناً عسيراً في افغانستان لمهامه الجديدة ، زادتها صعوبة الاوضاع القلقة والمعقدة في باكستان، والوضع المالي غير المستقر عالمياً من خلال الازمات المتتالية من الولايات المتحدة الى اليونان فبريطانيا.

وتبقى العقبة الرئيسة امام تحديد دور الناتو، انعدام استراتيجية اورو–اطلسية واضحة ومتناغمة وبعيدة المدى لاستبدال مفاهيم الحرب الباردة، برد أقوى على أخطار القرن الحادي والعشرين:الارهاب، الدول الضعيفة أو الفاشلة، وانتشار أسلحة الدمار الشامل. والتحدي الماثل امام الناتو هو تجاوز الادراك المتنامي القائل بأنه "منتدى لاتخاذ قرارات بشأن عمليات"، واستعادة دور "منتدى مركزي للنقاش السياسي وصنع القرار".